شَرْحُ الآجُرُّومِيَّة

فِي أُصُولِ عِلْمِ العَرَبِيَّة

تَأْلِيفُ
خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الأَزْهَرِيِّ
الشافِعِيِّ الأشْعَرِيِّ
(838 ـ 905هـ)

بِاعْتِنَاءِ
نِزَار حَمَّادِي

دار الإمام ابن عرفة
تونس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لِـلَّهِ المُنْفَرِدِ بِالأُلُوهِيَّةِ وَالتَّخْصِيصِ وَالإِرَادَةِ، وَافْتِقَارِ كُلِّ مَنْ سِوَاهُ إِلَيْهِ وَالإِبْدَاءِ وَالإِعَادَةِ، وَالكَلَامِ الأَزَلِيِّ المُنَزَّهِ عَنِ الحُدُوثِ وَالحُروفِ وَالأَصْوَاتِ، ذِي الكَمَالِ العَلِيِّ وَالتَّنْزِيهِ القُدُسِيِّ عَنْ سِمَاتِ الحُدُوثِ وَالمُمْكِنَاتِ، الوَاضِحِ ثُبُوتُهُ لِذَوِي البَصَائِرِ بِالبَرَاهِينِ وَالآيَاتِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ المَخْصُوصِ بِالرِّسَالَةِ الكُلِّيَّةِ العَامَّةِ، وَالشَّفَاعَةِ المَقْبُولَةِ التَّامَّةِ[1].

وَبَعْدُ؛ فَإِنَّ عِلْمَ النَّحْوِ آلَةٌ قَانُونِيَّةٌ تَعْصِمُ مُرَاعَاتُهَا اللِّسَانَ عَنِ الخَطَإِ فِي تَأْدِيَةِ العِبَارَاتِ، فَمَوْضُوعُهُ الكَلِمَاتُ العَرَبِيَّةُ مِنْ حَيْثُ الإِعْرَابُ وَالبِنَاءُ، وَغَايَتُهُ الاحْتِرَازُ عَنِ الخَطَإِ فِي تَأْدِيَةِ المَعْنَى، وَاسْتِمْدَادُهُ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَكَلَامِ العَرَبِ، وَفَائِدَتُهُ الاسْتِعَانَةُ عَلَى فَهْمِ آيَاتِ القُرْآنِ وَأَحَادِيثِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى الوَجْهِ المُرَادِ لِلَّـهِ ﷻ وَرَسُولِهِ ﷺ.

وَمِنْ هُنَا كَانَتْ عُلُومُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ عُمُوماً مِنْ أَعْظَمِ العُلُومِ نَفْعاً، إِذْ لَا سَبِيلَ إِلَى الرُّسُوخِ فِي فَهْمِ الوَحْيَيْنِ إِلَّا بِإِتْقَانِ قَوَاعِدِهَا، وَلَا مَجَالَ لِلتَّبَحُّرِ فِي مَعَانِيهِمَا إِلَّا بَإِحْكَامِ تَفَاصِيلِهَا.

---

(1) هذا مطلع خطبة الإمام ابن عرفة التونسي رحمه الله في مختصره الأصولي. (مخطوط رقم 2091 بالخزانة الحسنية بالرباط، المغرب الأقصى) وقد تضمن كلامُه الإشارة إلى مذهب أهل السنة والجماعة في تنزيه كلام الله القديم الأزلي القائم بذاته العلية عن الحروف والأصوات وما يلازمهما من السكوت والانعدام المنافيين للقِدَم، ، وقد صرح بهذا أئمة السلف ومنهم الإمام ابن جرير الطبري القائل في وصف الله تعالى: «**هُوَ الـمُتَكَلِّمُ الَّذِي لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ السُّكُوتُ**». التبصير في معالم الدين (ص 128) وأكد ذلك بقوله: «**القُرْآنُ الَّذِي هُوَ كَلَامُ الـلَّهِ ـ تَعَالَى ذِكْرُهُ ـ لَـمْ يَزَلْ صِفَةً قَبْلَ كَوْنِ الخَلْقِ جَمِيعًا، وَلَا يَزَالُ بَعْدَ فَنَائِهِمْ**». (السابق، ص 158) وبهذا المعتقد يمتاز أهل الحق عن أهل البدع الاعتقادية من المجسِّمة والمشبِّهة القائلين بحدوث الكلام القائم بذات الله وأنه حروف وأصوات، تعالى عن قولهم.

وَأَيْضاً فَإِنَّ مِنْ دَلَائِلِ أَهَمِّيَّةِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ أَنَّ الجَهْلَ بِهَا أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الكُفْرِ وَالبِدَعِ الاِعْتِقَادِيَّةِ، كَمَا بَيَّنَ الإِمَامُ السَّنُوسِيُّ ذَلِكَ فِي مُقَدِّمَاتِهِ وَشَرْحِهَا قَائِلاً: «لاَ شَكَّ أَنَّ الجَهْلَ بِقَوَاعِدِ اللِّسَانِ العَرَبِيِّ قَدْ يَجُرُّ إِلَى الكُفْرِ، وَذَلِكَ كَفَهْمِ بَعْضِ النَّصَارَى تَرْكِيبَ الإِلَهِ، وَأَنَّ عِيسَى عليه السلام جُزْءٌ مِنْهُ، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[النساء: ١٧١] بِجَعْلِهِمْ «مِنْ» لِلتَّبْعِيضِ، وَلاَ شَكَّ أَنَّ مَعَهُ جَهْلَيْنِ:

ـ **أَحَدُهُمَا**: جَهْلُهُمْ بِالقَوَاعِدِ العَقْلِيَّةِ؛ فَإِنَّ هَذَا المَعْنَى يَسْتَلْزِمُ حُدُوثَ الإِلَهِ؛ لِلُزُومِ مُشَابَهَتِهِ لِلْحَوَادِثِ فِي التَّغَيُّرِ، وَالاِفْتِقَارِ إِلَى المُخَصِّصِ بِمِقْدَارٍ مَخْصُوصٍ مِنَ المَقَادِيرِ المُرَكَّبَةِ، وَيَسْتَلْزِمُ انْعِدَامَ حَقِيقَةِ الأُلُوهِيَّةِ بِالكُلِّيَّةِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ عِيسَى عليه السلام حَلَّ فِيهِ جُزْءٌ مِنَ الإِلَهِ فَقَدِ انْعَدَمَ إِذًا الإِلَهُ؛ لِوُجُوبِ انْعِدَامِ الحَقِيقَةِ المُرَكَّبَةِ بِانْعِدَامِ جُزْئِهَا، وَعِيسَى عليه السلام إِنَّمَا حَصَلَ فِيهِ جُزْءٌ مِنَ الإِلَهِ عَلَى زَعْمِهِمْ، وَجُزْءُ الإِلَهِ لَيْسَ بِإِلَهٍ، فَقَد انْعَدَمَ إِذًا الإِلَهُ بِالكُلِّيَّةِ.

ـ **الثَّانِي**: جَهْلُهُمْ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، حَيْثُ حَصَرُوا مَعْنَى «مِنْ» فِي التَّبْعِيضِ، فَيَلْزَمُهُمْ أَيْضًا أَنْ يَفْهَمُوا التَّبْعِيضَ مِنْهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[الجاثية: ١٣]، كَمَا فَهِمُوهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[النساء: ١٧١].

وَلَوْ كَانُوا عَارِفِينَ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ لَفَهِمُوا أَنَّ «مِنْ» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] لَيْسَتْ لِلتَّبْعِيضِ، وَإِنَّمَا هِيَ لِاِبْتِدَاءِ الغَايَةِ، أَيْ: وَرُوحٌ جَاءَتْ مِنْهُ تَعَالَى خَلْقًا وَاخْتِرَاعًا، كَمَا أَنَّ مَعْنَاهَا ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[الجاثية: ١٣].

وَأَمَّا كَوْنُ الجَهْلِ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ طَرِيقاً إِلَى البِدَعِ الاعْتِقَادِيَّةِ فَكَأَخْذِ المُشَبِّهَةِ الجِسْمِيَّةَ وَأَعْضَاءَهَا فِي حَقِّهِ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ مِنْ قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلاَ: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وَنَحْوِهِمَا.

وَمَنْ عَرَفَ اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ، وَمَارَسَ اسْتِعْمَالاَتِ العَرَبِ، فَهِمَ أَنَّ الجَنْبَ وَالجَانِبَ يُسْتَعْمَلاَنِ كَثِيراً بِمَعْنَى جِهَةِ الحُقُوقِ؛ إِذْ كَثِيراً مَا يَقُولُ الإِنْسَانُ: فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ فُلاَنٍ أَوْ جَانِبِهِ، وَالمُرَادُ: التَّفْرِيطُ فِي جِهَةِ حَقِّهِ، وَلَيْسَ مُرَادُهُ قَطْعًا البَدَنَ وَلاَ أَجْزَاءَهُ، وَعَلَيْهِ يُخَرَّجُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٥٦]، أَيْ: فِي جِهَةِ حُقُوقِهِ وَأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَكَذَا يَعْرِفُ مَنْ خَالَطَ اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ أَنَّ اليَدَ كَمَا تُسْتَعْمَلُ فِي الجَارِحَةِ المَخْصُوصَةِ، تُسْتَعْمَلُ فِي القُدْرَةِ وَالنِّعْمَةِ. اهـ.

هَذَا، وَإِنَّ مِنْ أَلْطَفِ وَأَنْفَعِ مَا صُنِّفَ فِي أُصُولِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وَالقَوَاعِدِ النَّحْوِيَّةِ تِلْكَ المُقَدِّمَةُ الآجُرُّومِيَّةُ لِلأُسْتَاذِ العَلاَّمَةِ المُقْرِئِ النَّحْوِيِّ السُّنِّيِّ أَبِي عَبْدِ اللَّـهِ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ الصَّنْهَاجِيِّ الفَاسِيِّ (672 ـ 723هـ) الشَّهِيرِ بِـ«ابْنِ آجُرُّوم» وَمَعْنَاهَا بِلُغَةِ البَرْبَرِ: الفَقِيرُ الصُّوفِيُّ.

فَقَدْ ذَاعَ صِيتُهَا، وَظَهَرَتْ بَرَكَتُهَا، وَانْتَفَعَ بِهَا جَمٌّ غَفِيرٌ مِنَ الطَّلَبَة، فَإِنَّهُ قَدْ تَقَرَّرَ مُنْذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ تَدْرِيسُهَا فِي أَبْرَزِ المَعَالِمِ الدِّينِيَّةِ فِي البِلَادِ الإِسْلَامِيَّةِ كَجَامِعِ الزَّيْتُونَةِ بِتُونِسَ وَفُرُوعِهِ، وَجَامِعِ القَرَوِيِّينَ بِفَاسٍ، وَالجَامِعِ الأَزْهَرِ بِمِصْرَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُحْصَى كَثْرَةً مِنَ المَدَارِسِ السُّنِّيَّةِ.

وَمِنْ ثَمَّ كُتِبَتْ عَلَيْهَا الشُّرُوحُ الجَلِيلَةُ، المُخْتَصَرَةُ وَالطَّوِيلَةُ، وَمِنْ أَهَمِّهَا وَأَجْوَدِهَا وَأَكْثَرِهَا انْتِشَاراً وَتَدَاوُلًا بَيْنَ طَلَبَةِ هَذَا العِلْمِ الشَّرِيفِ شَرْحُ الشَّيْخِ العَلَّامَةِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي بَكْرٍ الجرْجَاوِيِّ الأَزْهَرِيِّ، الشَّافِعِيِّ مَذْهَباً، السُّنِّيِّ الأَشْعَرِيِّ اعْتِقَاداً[1] (838 ـ 905هـ) فَقَدْ كَانَ بَارِعاً فِي كَثِيرٍ مِنَ العُلُوم، لَا سِيَّمَا عِلْم العَرَبِيَّةِ الَّذِي فَاقَ فِيهِ كَثِيراً مِنْ مُعَاصِرِيهِ، وَوَضَعَ فِيهِ العَدِيدَ مِنَ المُؤَلَّفَاتِ النَّافِعَةِ، كَمُقَدِّمَتِهِ الأَزْهَرِيَّةِ وَشَرْحِهَا، وَمُوصِلِ الطُّلَّابِ إِلَى قَوَاعِدِ الإِعْرَابِ الَّذِي شَرَحَ فِيهِ قَوَاعِدَ الإِمَامِ ابْنِ

(1) ومن آثاره النافعة المباركة في بيان عقيدة أهل السنة شرحُه على عقيدة الإمام التاج السبكي الواقع في آخر شرحه على كتاب «جمع الجوامع» حيث أورد التاج عقيدةً سُنِّيَّةً مباركةً، وهي التي نظمها البرهان اللقاني في جوهرته التوحيدية الغنية عن التعريف.

هِشَام، وَتَمْرِينِ الطُّلَّابِ فِي صِناعَةِ الإِعْرَابِ الَّذِي أَعْرَبَ فِيهِ أَلْفِيَّةَ الإِمَامِ ابْنِ مَالِك، وَالتَّصْرِيحِ بِمَضْمُونِ التَّوْضِيحِ لابْنِ هِشَامٍ أَيْضاً، وَشَرْحِ كَافِيَةِ الإِمَامِ ابْنِ الحَاجِبِ، وَشَرْحِ العَوَامِلِ المِئَةِ لِلْإِمَامِ الجُرْجَانِيِّ، وَإِعْرَابِ الآجُرُّومِيَّةِ، وَغَيْرِها.

وَقَدْ كَانَ شَرْحُ الآجُرُّومِيَّةِ لِلشَّيْخِ خَالِدٍ أَوَّلَ كِتَابٍ يَقَعُ تَدْرِيسُهُ لِطَلَبَةِ عِلْمِ النَّحْوِ بِجَامِعِ الزَّيْتُونَةِ المَعْمُورِ مُنْذُ عُقُودٍ كَثِيرَةٍ، وَهَذَا يُمَثِّلُ سَبَباً مِنْ أَسْبَابِ نُبُوغِ عُلَمَائِهِ فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وَرُسُوخِ قَدَمِهِمْ فِيهَا، فَإِنَّ مَنْ صَحَّتْ بِدَايَتُهُ اسْتَقَامَتْ نِهَايَتُهُ، وَمَنْ أَتْقَنَ الأُصُولَ أَدْرَكَ الوُصُولَ، وَنَاهِيكَ بِمَنْ كَانَتْ بِدَايَتُهُ فِي ارْتِقَاءِ سُلَّمِ هَذَا العِلْمِ الجَلِيلِ بِهَذَا الكِتَابِ النَّفِيسِ وَشَرْحِهِ.

وَقَدْ طُبِعَ هَذَا الشَّرْحُ المُبَارَكُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ، أَوَّلُهَا فِي أَمْسترْدام سَنَةَ 1756م، وَأُخْرَى فِي بُولَاق بِمِصْرَ عَامَ 1259هـ، 1284هـ، 1305هـ، 1306هـ، 1319هـ، كَمَا طُبِعَ بِدَارِ إِحْيَاءِ الكُتُبِ العَرَبِيَّةِ بِمِصْرَ عَلَى هَامِشِ حَاشِيَةِ أَبِي النَّجَا.

وَلِأَهَمِّيَّتِهِ، وَاعْتِزَامِ القَائِمِينَ عَلَى إِحْيَاءِ التَّعْلِيمِ الزَّيْتُونِيِّ الأَصِيلِ بِتُونِسَ اسْتِئْنَافَ تَدْرِيسِهِ، تُعِيدُ «**دَارُ الإِمَامِ ابْنِ عَرَفَةَ لِلنَّشْرِ**» بِإِذْنِ اللَّـهِ تَعَالَى وَتَوْفِيقِه نَشْرَهُ مَضْبُوطاً مَشْكُولًا بِقَدْرِ الطَّاقَةِ البَشَرِيَّةِ، اسْتِنَاداً عَلَى النُّسْخَةِ الخَطِّيَّةِ الَّتِي فِي مَكْتَبَةِ جَامِعَةِ المِلِكِ سُعُود، قِسْمِ المَخْطُوطَاتِ، بِرَقْمِ 5192، وَتَقَعُ فِي 24 وَرَقَة، وَهِيَ نُسْخَةٌ جَيِّدَةٌ مُقَابَلَةٌ عَلَى أُصُولٍ خَطِّيَّةٍ أُخْرَى، كَمَا تَمَّ الاسْتِئْنَاسُ بِالنُّسْخَةِ المَطْبُوعَةِ بِهَامِشِ حَاشِيَةِ أَبِي النَّجَا، وَالاسْتِفَادَةُ مِنَ «الدُّرَّةِ السَّنِيَّةِ عَلَى حَلِّ أَلْفَاظِ الشَّيْخِ خَالِدَ وَالآجُرُّومِيَّةِ» لِلشَّيْخِ عَبْدِ المُعْطِي المَالِكِيِّ الأَزْهَرِيِّ مِنْ عُلَمَاءِ القَرْنِ الحَادِي عَشَرَ وَهِيَ مَخْطُوطَةٌ.

وَاللَّـهَ نَسْأَلُ أَنْ يُعِينَ مَنْ أَخْلَصَ النِّيَّةَ فِي دِرَاسَةِ هَذَا الكِتَابِ النَّافِعِ عَلَى فَهْمِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَ إِخْرَاجَهُ لِلنُّورِ عَمَلًا مُتَقَبَّلًا خَالِصاً لِوَجْهِهِ.

كتبه نزار حمادي يوم الجمعة 18 رجب عام 1433هـ الموافق لـ8 من شهر جوان لعام 2012م

في تونس الحبيبة